مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثلاثون / رجب - رمضان ١٤٣٠هـ , يوليو - سبتمبر ٢٠٠٩م

٣٠

- الصفة تاريخها - أصحابها (دراسة تاريخية توثيقية)
- من النباتات الطبية في المدينة المنورة
- الصاع المديني بين المقاييس القديمة والحديثة
- القسم المفقود من التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي

المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز

(رسالة جامعية) عرض وتعليق

(١٣٤٣هـ/١٩٢٥م – إلى ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)

أ. هلال محمد شعبان
باحث في دار السنة النبوية سابقاً

تشكل سيرة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مرحلة تاريخية هامة في الجزيرة العربية، وتعتبر نقطة تحول من عهد مليء بالصراعات والأحداث الدموية، والفلتان الأمني، وانتشار الجهل والتخلف؛ إلى عهد الاستقرار الأمني والتطور الحضاري بجميع جوانبه العلمية والثقافية والاقتصادية والصحية والعمرانية، ومن هنا تأتي أهمية هذه الرسالة التي نعرضها، وقد قدمها الباحث لنيل درجة الماجستير، تناول فيها أوضاع المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز من مختلف الجوانب العلمية والاجتماعية والأمنية ونحوها.

تتكون الرسالة من ٤٤٨ صفحة من القطع العادي، وتشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول.

عرض الباحث في المقدمة أسباب اختياره لهذا الموضوع، وهي: مكانة المدينة المنورة في نفوس المسلمين جميعهم، وأنها تحظى باهتمام حكام المسلمين وعنايتهم، وأهمية الفترة التي حكم فيها الملك عبد العزيز، وعدم وجود دراسة جامعة عن المدينة المنورة في هذه الفترة تبرز جهود الملك عبد العزيز وإنجازاته فيها.

وبسبب قلة المصادر التاريخية الحديثة التي تحدثت عن المدينة في القرن

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرابع عشر الهجري؛ اعتمد الباحث على الوثائق والصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك، وأهمّها: جريدة أم القرى، والوثائق المتفرقة المحفوظة في المباني الحكومية والعلمية المنتشرة في المملكة.

وقد مهّد الباحث للدخول في صلب البحث بفقرتين:

تحدث في الفقرة الأولى عن المدينة المنورة في عهد الدولة العثمانية، والتنظيمات الإدارية والأمنية، وما لحقها من اضطرابات كثيرة أدت إلى زعزعة الأمن والاستقرار فيها، كما ألقى الضوء على الناحية الاجتماعية والعلمية والقضائية السائدة في تلك المدة.

وتحدّث في الفقرة الثانية عن قيام الثورة العربية ضد العثمانيين، ودور المدينة المنورة فيها، وانتهاء ذلك بخروج العثمانيين منها.

وفي الفصل الأول تحدث الباحث عن العلاقات بين الملك عبد العزيز والشريف حسين، وأسباب الخلاف بينهما، والمواجهات العسكرية التي حصلت جراء ذلك، ثم تحدث عن حصار القوات السعودية للمدينة المنورة، ومرحلة تسليمها ودخولها تحت النفوذ السعودي.

وعرض الباحث في الفصل الثاني التغيرات التي أحدثها الملك عبد العزيز في المدينة المنورة في الفترة من ١٣٤٣هـ، إلى ١٣٧٣هـ، فتحدث عن التنظيم الإداري للمدينة وأهم من تولى وكالة إمارتها، وظهرت خطوات هذا التنظيم بعد مبايعة أهل الحجاز للملك عبد العزيز، فشكّل هيئة تأسيسية لوضع الأنظمة الإدارية من أجل تفعيل عمل كافة المؤسسات الإدارية، وتمكنت هذه الهيئة من وضع التنظيمات المقترحة، وبيّنت أسلوب الإدارة من خلال التعليمات التي عرفت باسم " **التعليمات الأساسية للحكومة الحجازية**"، وبمقتضى هذه التعليمات تمّ تنظيم الإدارة في الحجاز على أسس إدارية متطورة، يقول الباحث: **(ومن أهم ما استحدثته**

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذه التعليمات: تأكيد منصب النيابة العامة، ومجلس الشورى، وعلى ضوئها عُيّن سمو الأمير فيصل نائباً عاماً لجلالة الملك في الحجاز، يشرف على تنظيم وإدارة كافة الأمور فيه عدا ما يتعلق بالأمور العسكرية والخارجية فقد كان جلالته يشرف عليها بنفسه. وبينت أن النيابة العامة هي مرجع جميع دوائر الحكومة وأقسام إدارتها في الحجاز، ووضعت النيابة العامة تعليمات خاصة بإمارة المدينة المنورة تسير عليها).

ثم تحدث عن الخطة التي اتبعها الملك عبد العزيز لنشر الأمن في ربوع البلاد بعد حالة الفوضى التي عاشتها المدينة وغيرها؛ بسبب القتل والسلب والنهب وقطع الطرق عن الحجاج والزائرين، فجمع الملك عبد العزيز رؤساء قبائل الحجاز، ووعظهم ونصحهم، وحدّد لهم حدود كل قبيلة، وحمّل كل شيخ مسؤولية أي تعدّ أو مخالفة تحدث ضمن حدود قبيلته، وفي حالة عجز شيخ القبيلة عن ضبط أفراد قبيلته يتدخل الجيش النظامي لفرض النظام، فعمّ الأمن المدينة وطرقها، وصار أبناء البادية يتهيبون من الاقتراب من قوافل الحجاج والمسافرين.

وذكر الباحث عوامل أخرى ساعدت في انتشار الأمن، منها:

١ -تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بحزم على جميع أفراد المجتمع.

٢ -الاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة الإسلامية، وإرسال الدعاة والوعاظ إلى البادية.

٣ -سرعة الكشف عن المجرمين وإحالتهم إلى المحاكم، وسرعة البتّ في قضاياهم، وتنفيذ الأحكام حال صدورها.

٤ -الاهتمام بالعامل الاقتصادي؛ لأثره الكبير على الأمن، فكلاهما مرتبط بالآخر، فعمل الملك عبد العزيز على تخفيف الفقر على أبناء البادية؛ حيث خصص مرتبات مالية لرؤساء وشيوخ القبائل، وقدم الإعانات

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الضرورية لهم في حالة القحط وانتشار المجاعات.

كما تحدّث الباحث عن اهتمام الملك عبد العزيز بالقضاء وتنظيماته؛ لأن العدل أساس الملك والاستقرار، فعمل على جمع الناس على مذهب واحد؛ لتسهيل معاملات المحاكم، وسرعة الحكم في القضايا، ونصّت التعليمات الصادرة من جلالته على **أن الأحكام تكون دوماً في المملكة الحجازية منطبقة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح**، ونصّت أيضاً على **أن مجرى القضاء في جميع المحاكم منطبق على المفتى به من مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ نظراً لسهولة مراجعة كتبه، والتزام المؤلفين من بعده بذكر الأدلة، أما إذا وجدت مشقة في تطبيق الحكم على المذهب الحنبلي أو مخالفة مصلحة عامة نظر في المذاهب الأخرى**. وبناء على ذلك أنشئت محكمة شرعية مستعجلة تختص بشؤون أهل المدينة والبادية؛ للإسراع في تقرير العقوبات في القضايا الجنائية لما دون الحد؛ مراعاة لمصالح الناس، وأنشئت محكمة أخرى تنظر في جميع الدعاوي الخارجة عن اختصاص المحكمة المستعجلة.

كما أنشئت دائرة شرعية ترتبط برئاسة القضاء، تسمى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقوم بخدمات قضائية وأمنية تخفف عن المحاكم الكثير من الأعباء؛ نظراً لما تقوم به من وعظ وإرشاد.

واهتمّ الملك عبد العزيز أيضاً بشؤون الحرم النبوي الشريف، فأعاد تنظيم إدارته، وكانت تجمع تحت إدارتها الأوقاف والحرم النبوي، ففصل الأوقاف عن إدارة الحرم وجعل لها إدارة مستقلة، ورسم لكل إدارة الخطوط الأساسية لعملها.

كما اهتم بشؤون البلدية وأعاد تنظيم مجالسها، وحدد لها المهام الملقاة على عاتقها، كالعناية بالصحة العامة من حيث مراقبة نظافة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأطعمة والشوارع المدينة، ومكافحة وتجفيف المستنقعات، والعناية بالمجاري العامة، وإنارة الشوارع، ورصف الطرق، ومنع التعدي على الساحات العامة والأراضي الخالية غير المملوكة لأحد، وغير ذلك.

ونالت المدينة المنورة في تلك الفترة عناية كبيرة بالصحة العامة، وأول عمل قامت به الحكومة السعودية هو تنفيذ بعض التدابير الصحية لوقاية الحجاج والزائرين من الأمراض الوبائية، وفي ١٣٤٤/٨/٢٧هـ أنشأ الملك عبد العزيز مديرية الصحة والإسعاف، وأهم أعمالها: تأسيس المستشفيات والمستوصفات، والمستشفيات السيارة، وتعيين الأطباء الاختصاصيين. وتوالى صدور الأوامر الملكية النابعة من الاهتمام الكبير بالصحة بشأن تطوير مديرية الصحة وإنشاء المستشفيات، وتوجت جهود الملك الصحية عندما أعلنت منظمة الصحة العالمية عام ١٣٧٦هـ إلغاء الإجراءات الصحية الدولية على الحج بعد أن دامت أكثر من مائة سنة بموجب اتفاقيات دولية.

وفي نهاية هذا الفصل تحدث الباحث عن التطوير الذي لحق البريد واللاسلكي بسبب اهتمام الملك عبد العزيز بذلك، فاستورد المكائن الجديدة من أجل اللاسلكي، وأسس مدرسة اللاسلكي لرفع مستوى الموظفين في هذه الدائرة، وأصدر نظام البرق والبريد، وحدد مسؤولية العاملين فيه، كما حرص على التعاون الدولي في مجال البريد؛ لأهميته في تقدم الدولة وتحضرها، وما يقدمه من تواصل بين دول العالم كلها.

وتحدث الباحث في الفصل الثالث عن النمو السكاني في المدينة المنورة الذي رافق عهد الملك عبد العزيز بسبب الاستقرار والأمن، ونشر الرخاء بين الناس، واهتمام الحكومة بالصحة العامة الذي كان له الدور الكبير في قلة الوفيات وتحسين النمو السكاني، كما زاد النمو السكاني في المدينة المنورة بفعل الهجرة الداخلية من أطراف المدينة، والهجرة الخارجية

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من بلدان العالم الإسلامي؛ لما تتمع به من الأهمية الدينية، والعناية الصحية، وتقدم العلم، وكان نمو السكان في ارتفاع مستمر حتى بلغ في عام ١٣٧٠هـ (٤٤) ألف نسمة.

كما ألقى الضوء على جهود الملك عبد العزيز في خدمة المسجد النبوي الشريف، حيث قام بتوسعة كبيرة له؛ ليتمكن الحجاج والزائرون والمقيمون من الصلاة فيه بهدوء وطمأنينة، وعرض الباحث مراحل إنشاء التوسعة والأحداث التي رافقتها، ولم تقف جهود الملك عبد العزيز في خدمة الحجاج والمعتمرين عند التوسعة فحسب، بل وضع كل اهتمامه في إزالة العقبات التي تعترض طريقهم؛ ليتمكنوا من أداء فريضتهم بيسر وسهولة، ففي ١٣٤٥/١/٤هـ أمر بتشكيل إدارة للحج تحت رئاسة النائب العام تعتني بشؤون الحج والحجاج، ونَظّم العلاقة بين إدارة الحج والمطوفين والأدلاء والمؤسسات الأخرى التي تسهر على راحة الحجاج، وكانت هيئة الأدلاء في المدينة وهي: طائفة كبيرة، يتوارث أفرادها مهمة القيام بخدمة الحجاج وإرشادهم إلى أماكن الزيارات المشروعة بالمدينة، فحدّد عليهم الملك عبد العزيز أن يستقبلوا الحاج من باب العنبرية، وأن يقدموا له خدمات متعددة، منها:

-إعطاؤه داراً نظيفة لسكناه، وما يلزم لها من سرر.

-زيارة المسجد النبوي، وما يستحب زيارته شرعاً.

-إرشاد الحاج إلى ما يريده من الأمور التي هي ضمن وظائفه.

-المحافظة على أمتعة الحاج وراحته مدة إقامته بالمدينة.

وزيادة في اهتمامه بخدمة الحجاج أمر بتعبيد الطريق بين مكة والمدينة؛ لتسهيل وصولهم إليهما.

كما أمر بتوسيع شوارع المدينة الضيقة، وفتح طرق جديدة فيها، وأدّى

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذا مع توسعة المسجد النبوي إلى توسع وتطور العمران في المدينة المنورة.

وتحدث الباحث في الفصل الرابع والأخير عن مظاهر التطور الحضاري الذي شهدته المدينة المنورة في تلك الفترة، ومنها النهضة العلمية التي أسس قواعدها الملك عبد العزيز حينما أعلن عن إنشاء مديرية المعارف في غرة رمضان عام ١٣٤٤هـ،وجَنّد إمكانيات الدولة - على ضآلتها حينذاك - لخدمة التعليم وفتح المدارس، وتوفير الأدوات والتجهيزات المدرسية، وإنشاء المكتبات العلمية.

كما شهدت المدينة المنورة نهضة زراعية كبيرة بسبب الاستقرار والأمن، وكانت الحكومة السعودية تساعد أهل المدينة المزارعين على الاستثمار فيها؛ لزيادة المحاصيل الزراعية التي ستوفر إنتاجاً أرخص للمستهلك، فباعتهم المعدّات الزراعية بالتقسيط، وربما تنازلت عن الأقساط، كما وزّعت على الراغبين في الزراعة أراضي حكومية مقابل مبلغ زهيد؛ تشجيعاً لهم على الزراعة.

كما نشطت الحركة التجارية في المدينة المنورة مع بداية الحكم السعودي، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

-الاستقرار وانتشار الأمن.

-انتعاش الاقتصاد السعودي بعد اكتشاف البترول.

-زيادة عدد السكان من السعوديين والوافدين.

-نشأة عدد من الصناعات المحلية.

-تشجيع الملك عبد العزيز على التجارة بإلغاء بعض الضرائب والرسوم التي كانت تجبى في العهد السابق.

ومن خلال ما سبق تظهر أهمية هذا البحث وتتلخص فيما يلي:

١ -أهمية المدينة المنورة ومكانتها العالية في قلوب المسلمين في شتى

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أنحاء العالم، الذين يتلهفون إلى معرفة كل ما حصل أو يحصل فيها من أحداث صغيرة أو كبيرة.

٢ -يعتبر هذا البحث أول دراسة متخصصة تتحدث عن المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري.

٣ -اعتمد البحث على الوثائق والصحف والمجلات التي كانت شاهدة على ما يحدث بصدورها في تلك الفترة، وقد كتب الباحث هذه الوثائق بكل موضوعية ودقة؛ مما يعطي القارئ الثقة والاطمئنان إلى صحة المعلومات الواردة في هذا البحث.

٤ -التأريخ لفترة مهمة من تاريخ المدينة المنورة، إذ يعتبر دخول الحجاز تحت حكم الملك عبد العزيز تحولاً جذرياً للمدينة، ونقلة كبيرة نحو الاستقرار والأمن الداخلي، والتطور والرقي الحضاري.

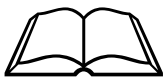

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة